ماحق المحرر رقم ٤٥٢ — الخميس ٣١ كانون اول ١٩٦٤ — فلسطين — العدد ٥

كلمة أخرى

●●●● اسهل من شربة الماء ان يمسك الصحفي قلمه ويقرر ، في جرة واحدة ، انه لا يوجد ادب فلسطيني بالمرة ، عبر عن المأساة ومعاناتها .

ابسط من البسيط ، وارخص من الهواء ، ان يقرر اولئك الذين جعلوا انفسهم مقيمين لانتاج شعب كامل بان هذا الشعب لم ينتج شيئا .

في الاسبوعين الماضيين قرات اكثر من خمس مقالات طويلة لنقاد قرروا — على صفحات جرائد ومجلات صدرت في الكويت وفي بيروت وفي القاهرة — انه « لا يوجد » شيء اسمه ادب فلسطيني ..

في المقالات الخمس لم يكلف ناقد واحد نفسه عناء وضع مرجع واحد ، او ذكر اسم واحد ، او الاشارة الى عمل واحد ، كان تقييم انتاج ادبي هو قضية تجريدية لا علاقة لها بالاستشهادات والمراجع ..

كان الناقد ، وراء مكتبه ، هو المحور الاول والاخير في عملية التقييم وكان مزاجه هو الحكم ..

خلال ستة عشر عاما من النكبة تكوم انتاج ادبي فلسطيني لا يجوز لاي ناقد ان يلغيه لمجرد انه جاهل ومتخلف .. من حقه ، طبعا ، ان يستعرض نماذج منه ليثبت اين وكيف ولماذا كان الفشل في الوصول الى مستوى النكبة ولكن من غير المسموح به ان يعلن جهله على رؤوس الاشهاد ويلغي كل القيم لمجرد انه لا يعرفها .

توجد اسماء لادباء وشعراء ومفكرين فلسطينيين استطاعت ان تكون اسماء رائدة ، ليس في نطاق ما يسمى عادة بانه « ادب فلسطيني » ، ولكن في نطاق الادب العربي نفسه .

توجد سلمى الخضراء الجيوسي ، توجد فدوى طوقان ، سميرة عزام ، يوسف الخطيب ، معين بسيسو ، هارون هاشم رشيد ، وتوجد عشرات من الاسماء الاخرى في الصف الثاني ، يوجد ادب فلسطيني لم يكتبه فلسطينيون ... فمن الذي اعطى نفسه حق شطب كل هؤلاء بجرة قلم ، لمجرد انه لا يعرف ؟

على « النقاد » الذين يستسهلون الجهل ، ويرتاحون للت والعجن في الضباب ان يكفوا عن اعلان عقد نفسهم على صفحات المجلات ، وفي نوع من الوقار الدعي الذي لا يستحق الا الاحتقار .

* * *

●●●● مد يده الى الطعام فظهرت اصابعه الثلاثة الكاملة امام اصبعيه المقطوعتين ، من العقدة الاولى : ثلاثة عمالقة يعلنون شيئا خفيا .

واغمضت عيني برهة : وراء جفني تراجع الزمن ستة عشر خريفا قاحلا ، منهك العطش للحظة اكتفاء بطولية واحدة ، يوم كان رب الاصابع المبتورة فلاحا له ارضه وزوجته وسماؤه ، يزرعها حبا ودما وهمسات ليس لها غور .

حول ترشيحا ، الليل والمطر ورعب الموت ، وفي الهواء رائحة الارض المبتلة والاجساد التي مزعت في خنادقها دون شبر تراجع واحد ، والفلاحون ، من جديد ، يكرون بلا سلاح على الخنادق التي تمترس بها جنود العدو : صدورهم تمسح الارض واصابعهم تحرثها .

وكان فلاحنا رجلا على بعد ذراع من الخندق الموحل ، وحين اسقط نفسه فيه ، فوق عدوه ، كان بلا سلاح : يد اطبقت على عنق العدو ، ويد امسكت نصل الحربة المثبتة فوق بندقيته ليبعدها عن احشائه .

وفيما كان العدو يحشرج كان نصل حربته يجز اصابع الرجل في محاولة لتخليص السلاح من قبضته ... وكما جاءت اناشيد الموت تدب الى الخندق المبتل البعيد ، كانت الاصابع تسقط ..

وفتحت عيني : كان امامي ، يمد يده الى الطعام فتبدو اصابعه الثلاثة الكاملة ، الى جانب اصبعيه المقطوعتين من عقدتيهما الاولى . ثلاثة عمالقة يريدون قول شيء خفي .

يا الهي : قولوها ..

* * *

●●●● لو لم ينتصب واقفا لما مات ، ولكنه اراد ان يموت واقفا : آخر امشاط سلاحه كان في قبضته ، وراء الصخور البعيدة التي تبكي كلما جاء تشرين ، تبكي ، تبكي ، بصوت يستعصي على السماع .

ولو لم يقف لما مات ، ولكنه اراد ان يموت واقفا : وسع ما بين ساقيه في ذلك الجبل النائي ، وحده مع المطر والليل والغربة ، ودرزهم باخر امشاطه وانتظر رصاصة الموت دون ان تهتز الارض التي حملته وارضعته ثم تلقفته ليموت فوقها ، كما اراد دائما ..

مجهولا ، بعيدا ، دون ان يعرفه احد — الا الارض — مات ، ودفن كما يجب ان يدفن الشهيد ، بملابسه كلها .

ايها الفدائي ، يا خفقات قلوب المشردين ، هل ستنتظر كلمة الرثاء طويلا ؟

اليك ، يا اول العائدين ، ايها المجهول الذي يعرفك كل انسان حقيقي ، كلمة رثاء واحدة : ان موتك هو بذرة الحياة ، والخصب ، وانت انما تنمو فينا .

●●●● لا تسافر الى الشرق ، ابق هنا ، طريق عودتك ليس في الكويت ، ليس في المنافي البعيدة ، مشاكلك لا تحلها الثروة : انما انت رجل بلا ارض ، ممزع ، مهدور ، ضارب في الغربة تجر وراءك جذورا يكاد يذبلها ترحالك الواهن .

ليس هناك ، هنا : هنا طريق عودتك ، على بعد ذراع ، هنا ..

واذا كانت الحياة اقسى مما يتحمل صمودك فحاذر ان تذبل الجذور التي تسحبها وراءك ، حاذر ان يطمرها المعدن .

* * *

●●●● أتذكرك ، ايها الفتى الذي جئت تقول انك تعرفني ، وقد رايتك قبل عشر سنوات ، في دمشق ، في شارع الفردوس بالذات ، وان الشيطان نفسه لا يستطيع ان يسلخ تلك الصورة من راسي .

وما الذي حدث لاختك ؟ اخاف ان سالتك ان اجرحك ، ولكن ما الذي حدث لاختك ؟

وجهها الشاب المدور مازال يصرخ في اذني ، وكانت ، يومذاك ، تقف مع رجل في شارع الفردوس ، ورايتها انت: كنت طفلا غضا ليس اكبر من العاشرة وكانت قد هربت من المنزل .

ورميت نفسك على ساقيها ، وصرخت بها ان تعود معك .. وشهدتها تسير وتجرك وراءها ، تركض وانت تنسحب وراءها على الاسفلت فياكل من لحمك الطري ويتمزق بدنك كأنك المعذب ، ولكن اصابعك الصلبة كانت مغروزة كالانياب في ساقيها ، وكنت تريد ان تعيدها الى البيت ، ولو مع جثتك .

ورايتها تقف : تنظر اليك ، تبكي ، تصرخ ، وتحملك نصف واع ، ثم تسير بك ، ربما الى البيت ، اكيدا الى البيت .

كنت تقول لنا ، دون ان تتكلم ، انك فقدت بلادك ولا تريد ان تفقد شرفك ..

اتذكرك ، ايها الفتى ، فهل تغفر لي السؤال ؟

الناصرة

[illegible] الدعائية التي تخوضها مع العدو

[illegible]

السينما :

[illegible] لينين اول من ادرك [illegible] في الناحية [illegible] وقد قال : [illegible] بل يجب ان تصبح السينما [illegible] روسيا الثقافة » .

وفي الولايات المتحدة وانكلترا [illegible] صناعة الافلام في ايدي الراس مال [illegible] يتداخل هذا الربح والدعاية [illegible] اكثر الافلام وهي [illegible] الجماهير [illegible] العالم [illegible] الديمقراطية وتمجيد الحياة في الدول الغربية .

ووسيلة اخرى [illegible] لوطيد الاسلوب [illegible] ابعاد الجماهير من الواقع السياسي والاقتصادي باغراقهما بالمخدرات الجنسية وارضاء النزعات [illegible] الجريمة ومناظر العنف الجسدي [illegible]

[illegible]

التلفزيون :

تقدر تكاليف انشاء محطة التلفزيون في ولاية من ولايات اميركا بنحو ٥ ملايين دولار بينما تقدر المصاريف السنوية ٣٥٦ الف دولار .. فالتلفزيون من هذه الناحيه يخضع ايضا للمصالح الماليه الكبرى .

ولا يزال التلفزيون كوسيله من وسائل الاتصال الجماهيري محدود الاثر لقله جمهوره وضيق المنطقة التي يستطيع بلوغها .

ولا شك في الاثر التوجيهي الضخم الذي سيصبح لهذه الوسيلة في المستقبل متى تغلب على الصعوبات الفنية التي تجابهها الان .

هذه هي وسائل الاتصال الجماهيري الرئيسة في العالم الغربي . وهي بحكم ضخامتها وتشكيلها الاقتصادي قد ركزت سلطات كبرى في ايدي جماعات قليلة ذات اهداف ومصالح سياسية واقتصادية معينة جعلتها عرضة للمساومات والضغط المتبادل مع الجماعات المؤثرة الاخرى .

ولا شك بجانب هذه الدراسة [illegible] في ضرورة اجراء دراسات مفصلية لهذه الوسائل بالنسبة لكل بلد يرجى منه ابلاغ وجهة النظر العربية للجماهير مع الحرص دائما على التقيد [illegible]

[illegible]

[illegible] اوساط الراي العام الغربي

ووقف الدوائر الصهيونية ابعادها عن المسرح الحديث ما امكن ، فلما تعذر هذا بالنسبة للمكانة الادبية الكبرى لكاتبها ، عدلت ادوارها بحيث صورت شخصية شيلوك في مظهر يبعث على الاعجاب والرثاء والعطف .

واهمية الفيلم في تشكيل الراي العام وتغيير مواقف الجماعات بالنظر لانه يقوم على استغلال المؤثرات السمعية والبصرية معا امر اثبتته الدراسات السيكلوجية العديدة . وقد بلغت نسخ الافلام التي وزعها قسم السينما بوزارة الخارجية الاميركية في شتى الموضوعات الاعلامية والوثائقية ٢٥ الف فيلم وبلغ عدد الذين شاهدوها ١١٥ مليون شخص سنويا . وقد كان هذا من اضخم المحاولات التي بذلت لاستخدام السينما للتأثير على الجماهير واستمالتها لاتخاذ مواقف سياسية واجتماعية معينة .

والدعاية الصهيونية تعتمد اكبر الاعتماد على الفيلم واهم اثارها في هذا المجال فيلم « انا فرانك » الذي اريد به ايقاظ عاطفة العطف على اليهود وشعور الاثم في اوروبا المسيحية .. وفيلم « سقوط الرايخ الثالث » الذي استهدف نفس الغاية . وفيلم « بن حور » الذي اراد ابعاد تهمة قتل المسيح من على اليهود وتحميلها الرومان .. وغير هذا من الافلام الكثيرة التي تستهدف اسقاط صورة اليهود مشبعة بالعطف والتمجيد ، في الملسلات من الافلام التسجيلية التي كان اخرها فيلم عن مياه الارض يزيد ما توزده [illegible]

[illegible] السائدة واستنادا للقوانين الاتية :

١ — ان استجابه الفرد لعبارة ما او عمل ما او اي حدث من الاحداث هو اثر من اثار الموقف الحالي للفرد وكذلك لمواقفه سابقه .

اي انه يجب ان نؤخذ في تقرير استجابة الفرد المؤثر معين — بجانب العوامل السيكلوجيه التي تشترك فيها الجنس البشري كلـه — الخصائص الحضارية والثقافيه لكل مجتمع والقيم السائدة فيه والطاقه العاطفيه لافكار معينة والفاظ بالذات .

فمثلا للفظ « الحرية » في المجتمع العربي عامه ارتباطات ذهنيه وعاطفيه عامه تصدر من التراث الثقافي العربي ولا يمكن [illegible] ان مهاجم الحرية في اي بلد هجوما مباشرا دون ان يتعرض لسخط القارىء نفسه .

وفي نفس الوقت نرى لفظا اخر [illegible] دورا بعيدا هاما في تاريخ العرب هو « القومية » بالنظر لاقترانه بالنظام الذي اقامته الهتلرية في المانيا وبعض الحركات [illegible] ارتباطاته العاطفية [illegible] الموسع والعدوان رغم ان اللفظ في ذاته لا يحمل مثل هذا المدلول [illegible] حملات الدعاية الموجهة ضد العرب [illegible] دائما على وصف الحركة العربية بانها حركة [illegible] تهدف اولا الى اخراج الغاصب الاجنبي من اراضيها ووصفها باسم « الحركات القومية » وذلك لايهام القارىء الغربي بانها حركات توسعية قائمة على كراهية [illegible]

[illegible]

(٩) [illegible]

(١٠) [illegible] التأثير الاجتماعي [illegible] ص ٨٩ .

[illegible]

الدعاية التي [illegible] تتردد كثيرا [illegible] في عبارة هارولد [illegible] الرواية والسيطرة [illegible] والقسر [illegible] الحقيقة [illegible] من الاخبار (٨) .

وقد [illegible] فــي [illegible] وسائل الاتصال الجماهيرية في [illegible] :

١ — ان الصحافة لا تتحرى دائما [illegible] على الاخبار المثيرة [illegible] على حساب الهام مع [illegible] الجوانب [illegible] المجتمع .

٢ — ان الصحافة [illegible] مادة المادة [illegible] التي [illegible] وتحرص [illegible] وجهات النظر المعارضة لها .

٣ — ان السيطرة الاحتكارية على [illegible] محكمة الاطراف وقد [illegible]

[illegible]

[illegible] ولوا ودانا من ميادين راس [illegible] .

[illegible] ان الصحافة اكثر ما تكون [illegible] وحاجات الجماعات [illegible] الشركات [illegible] .

والامر الذي يجب ان نذكره دائما [illegible] في الصحافة الغربية هو ان ازدياد تكاليف اصدار الصحف اليومية [illegible] عدد هذه [illegible] وتركز ملكيتها في ايد قليلة كما ادى الى قيام شركات من الصحف موحدة الادارة والملكية تغطي اكثر الولايات الاميركية .

كما ان اعتماد الصحف في اكثر ايراداتها وارباحها على الاعلانات جعلها الى حد كبير في قبضة المعلنين وما يرغبون في انتهاجه من سياسات .

ولا شك في سيطرة الصحافة على الراي العام ، فالى الصحافة وحدها يعزى كثير من القرارات والتحولات الهامة في السياسة الغربية . وان كان لا يجب المغالاة كثيرا في هذا الامر وخاصة بعد ظهور وسائل اتصال منافسة مثل الراديو والتلفزيون .

وبرهان هذا ما حدث في خمس انتخابات متتالية في امريكا منذ سنة ١٩٣٢ حتى سنة ١٩٤٨ حيث كان المرشحون الديمقراطيون يفوزون رغم المعارضة القوية التي كانت تناصبهم اياها اكثر الصحف الاميركية .

ففي سنة ١٩٤٨ كان لا يؤيد ترومان سوى ١٥٫٤ بالمئة من مجموع الصحف اليومية ولكنه فاز بالرغم من هذا .. وفي سنة ١٩٤٤ كانت الصحف التي تؤيد روزفلت ٢٢ بالمئة من مجموع الصحف اليومية ، و ١٧٫٧ بالمئة من مجموع الصحف والمجلات ولكنه فاز بالرغم من هذا .

ولعل في هذا بعض العزاء امام ما تلقاه القضية العربية من احكام السيطرة الصهيونية على اكثر الصحف [illegible]

[illegible] الديمقراطية الاميركية — هارولد [illegible]

[illegible]

[illegible] الجماعات المؤثرة [illegible] المتحدة وحدها [illegible] العربية وان كانت [illegible] في الولايات المتحدة .

[illegible] بريطانيا [illegible] الاجهزة الحكومية والبرلمانية [illegible] ومن الاتصال [illegible] الولايات المتحدة ، ترى الجماعات المؤثرة — في الواقع — اشد نفوذا وتغلغلا وان كان مجالها لا يكاد يتعدى الدوائر الحزبية ، [illegible] اقل ظهورا .

يقول العالم السياسي كوري : لا نعرف سوى القليل عما يحدث حينما تقدم العرائض او تفد الوفود على مجلس الوزراء .. ونحن بالتالي لا نعلم شيئا عما يدور داخل اجتماعات الاحزاب وينتج عنه هذه التحولات الخطيرة في السياسة (٦) .

على ان الذي لا شك فيه هو ذلك الدور الحاسم الذي تلعبه هذه الجماعات — في بريطانيا بالذات — وفي تقرير كثير من السياسات سواء اكانت داخلية ام خارجية . واوضح الامثلة على هذا تأييد حزبي المحافظين والعمال على السواء للصهيونية دون سند من مصلحة خاصة ولون رعاية للعهود الكثيرة التي قطعتها بريطانيا على نفسها .

وسائل الاتصال العامة
الصحافة

[illegible]

[illegible]

[illegible] الموقف [illegible]

ثالثا : مدى [illegible] السيكلوجية التي [illegible] الراي العام [illegible] واستخدامها استخداما [illegible] مدروسا .

ثالثا : دراسة اساليب الدعاية [illegible] دراسة علميه تحليليه تبين [illegible] العاجله والاجله حتى يمكن [illegible] متسعه لمواجهتها [illegible] .

[illegible] الصفحات التاليه محاوله لدراسة [illegible] هذه النقاط على حده .

تشكيل الراي العام في الديمقراطيات الغربية

اهم ظاهرة في تشكيل الراي العام في الديمقراطيات الغربية هي قيام « جماعات مؤثرة » تملك في ايديها مقاليد التوجيه والضغط السياسي .

وتتصل هذه الظاهرة اتصالا سببيا وثيقا بالحقوق والحريات الواسعة الممنوحة للشعب والتي تتركز عادة في الجماعات والهيئات المنظمة ذات الاهداف السياسية المحددة .

والاسس التي تقوم عليها هذه الجماعات اما طبقية مثل نقابات العمال او مهنية مثل جمعيات الاطباء والمحامين او دينية كالهيئات البروتستانتية والكاثوليكية الكبرة ، او عنصرية مثل [illegible] اليهودية والصهيونية [illegible] جنس [illegible] هذا من الاسس [illegible]

[illegible]

[illegible] الدولي [illegible] العربية

٩

تقدم فلسطين فيما يلي — ادراكا منها لاهمية هذا الموضوع — سلسلة دراسات كتبها قادة لحروب عصابات عالمية عن هـذا النوع من القتـال .

ان « فلسطين » ، التي ستحرص على ان يكون ايجازها لهذه الابحاث الهامة امينا قدر الامكان تدرك تماما ان الفائدة التي يمكن ان تجنى من مثل هذه الابحـاث تبقى محصورة في القدرة على وضعها في مكانها الصحيح من « شخصية » القضية الفلسطينية بكافة معطياتها الموضوعية .

نظرية ماوتسي تونغ عن حرب العصابات



المبادىء الرئيسية

ان الحرب تستند الى ستة عناصر ثلاثة منها مادية وثلاثة اخرى غير مادية :

● **العناصر المادية :**

١ — الاسلحـة بدءا من القـوس والسهم وانتهاء بالقنابل .

٢ — جهاز التموين الذي يشمـل المخازن وخطوط الاتصال ونقـل المؤن والذخيرة الى ما وراء خطوط العدو .

٣ — الجنود .

● **العناصر غير المادية :**

١ — المكان ، ويعني هنا المساحة التي تجري فيها العمليات الحربيـة بالاميال المربعة مضافا اليها الصعوبات والعقبـات ومطروحـا منها شبكـة المواصلات اي :

المكان : المساحة + الصعوبات — شبكة المواصلات .

٢ — الزمن

٣ — الارادة

من هذه النظرية انطلق ماوتسي تونغ في مفهومـه لحـرب العصابات والتي تحمل في مضمونها افتراض غلبة شعب متاخر او على الاقل غير متصنع على شعب صناعي ...

انه من الممكن ان تحل التعبئـة السياسية بدلا عن التعبئة الصناعية .. والشعب الذي يهزم هو الشعب الذي يقبل ويعتقد بانه سيهزم . فاذا قاوم الشعب باصرار فكرة الاستسلام ، فانه سينتصر حتما .. اما اذا دب التخاذل في الجماهير فان القوات المقاتلة في ارض المعركة ستنهزم او تتراجع .

لقـد كانت القضيـة العسكريـة الرئيسية التي عـالجها ماوتسي تونغ هي كيفية اخضاع الزمان للمكان ... اما القضية السياسية التي تصدى لها فهي في كيفية اخضاع الارادة لعنصـر الزمن .

ان الحرب الطويلة الامد تتكـون من ثلاثة مراحل :

١ — الاستراتيجية الدفاعية

٢ — مرحلة الاعداد

٣ — مرحلة الهجوم

ان التغلب على العدو هو في تحطيم اسباب وجوده لا كما نراها نحن بل كما يراها هو .

ان مرحـلة الدفـاع تتضمن بعض فترات التراجع والاستسلام ، ولا ضير في ذلك ، شريطة ان لا يتكرر التراجع كثيرا ، لان هذا يؤثـر على الـروح المعنوية .. ان الانتصارات مهما كانت صغيرة تدفع بالروح المعنوية الى الامام مع الاخـذ بعين الاعتبـار ان هـذه الانتصارات ليست كل شيء .. اذ انه يجب ان لا نبتهج بالانتصار ونخسر ملابسنـا في نفس الوقـت .. ان الاستراتيجية الاساسية في هذه المرحلة هي الحذر واليقظة ...

وهنا مع القضاء على روح الانهـزام والانتصار المزيف ، تبدا المرحلة الثانية من حرب العصابات ، مرحلة الاعـداد حين تتحول الوحدات العسكرية الى وحدات معبأة تستمد ذخيرتها واسلحتها من العدو ، وحيث يتم تنسيق محكم بين وحدات الفدائيين .. وفي هذه المرحلة يجب ان تتم مجموعة من الحـوادث المحلية التي قد تؤدي الى تقهقـر وحدات الفدائيين واندحارهم بعـد الهجوم .. ان اقلاق راحة العـدو وعدم افساح المجال امامه ليبني ويعيش بسلام وهدوء ضروري جدا في هـذه المرحلة .

اما في مرحلة الهجوم ، فان ماوتسي تونغ يؤمن بحتمية انتصـار حـرب العصابات اذا توفرت القيادة القادره على تحويل الوحدات الفدائيـة الى منظمة متماسكة منتظمة شبيهة بالجيش

... وحتى هذه المرحلة ، مرحـلة الهجوم لا تعني بالضرورة التقـدم المطرد ... من الممكـن ان يتراجـع الفدائيون خطوة ، ومن الممكن ايضـا ان يتقدموا خطوتين بعد ذلك ..

★ ★ ★

● **مقومات حرب العصابات :**

ان حرب العصابات ستفشل حتما اذا لم تكن ملتحمة بهدف سيـاسي مستوحى من احاسيس الشعب ومؤيدا من جماهيره . ان هذا الهدف السياسي يجب ان يوضح لجميع سكان المناطق التي تاخذ فيها حرب العصـابات مسرحا ومجرى لعملياتها .

في كل الجيوش يتوجـب ممارسـة طاعة المرؤوس للرئيس ، والحـال كذلك في حرب العصابات مع فـارق واحد ، ان الطاعة في حرب العصابات تنبعث من ضمير الفرد .. ان الطاعة تكون دون فعالية اذا فرضت فرضا .

ان حياة الضباط والجنود في جيش الثورة يجب ان لا تختلف كثيرا ... فالضباط يجب ان يعيشوا في ظل نفس الظروف التي يحياها الجنود ، لانـه بهذه الطريقة وحدها يتمكن الضبـاط من اجتذاب جنودهم اليهم كمثل اعلى ... وهذا شيء حيوي جدا في الحرب ... ولكن من الخطأ في نفس الوقت المناداة بالمساواة في كل شيء بين الجنود والضباط ... المطلوب هو التساوي في ظروف المعيشـة والتساوي في قبول صعوبات الحرب ومخاطرها .

ومن ناحية اخرى فان التحـام الفدائيين مـع سكان المنطقـة التي يعملون فيها وتعرفهم اليهم ضروري ..

ان الوظـائف الرئيسيـة لحـرب العصابات ثلاث :

١ — الحرب على خطوط خارجية ، اي في مؤخرة العدو .

٢ — اقامة قواعد تموين وانطـلاق وحماية .

٣ — توسيع رقعة العمليات ..

وبهذا فان حرب العصابات لا تشتمل على خطوات تكتيكية قصيرة ، انمـا تتضمنه ايضا اعتبارات استراتيجيـه طويلة المدى .

ان الاستراتيجية الاساسيه لحـرب العصابات تستند الى اليقظه ، والقدرة على التحرك السريع ، والهجوم . ان الاستراتيجية هذه يجب ان تتكيف مع وضع العدو ، مع المنطقة الجغرافيه ، مع خطوط التموين الخارجية ، مـع مختلف القوى الفاعلة في الميدان ، مع المناخ ، واخيرا مع سكان المنطقة .

اما التكتيك الذي يجب ان يتبع في حرب العصابات فهو في اختيار الخطه التي توهم العدو انك قادم من الشرق في الوقت الذي تهجم فيه قوات الفدائيين من الغرب .

تجنب المواقع المحصنة ، اضرب في نقاط الضعـف ، اهجـم وانسحب ، اضرب ضربة خاطفة واتخذ قـرارا خاطفا . اذا اصطدم الفدائيون مـع قوات ضخمة للعدو فعليهم ان يتراجعوا حين يتقدم ، ان يقضوا مضجعه حين يقف ، يضربوه حين يتعب ، يلحقوا به حين يتراجع . ان مؤخرة العدو وجناحيه هي نقاط استراتيجية لجنود حـرب العصابات ... وفي هذه النقاط يجب ان يهاجم العدو وتنهك قواه وتشتت صفوفه .

اذا لم نستطع ان نحاصر جيشـا باكمله ، فاننا نستطيع على الاقل ان نحطم جزءا .. اذا لم نستطع ان نقتل جنود العدو فاننا نستطيـع ان نحطمهم . ان الاثر الاجمالي لمجموعة من النجاحات الجزئية هو في مقـدار النقص الحاصل في نسبة القوى المعادية .

يستطيع الفدائيون ان يبقـوا في ايديهم زمام المبادرة اذا هم ادركـوا نقاط ضعف العدو ...

ويجب ان يكون القائد كصياد السمك الذي يرمي بشباكه ويسحبها مدركـا عمق الماء ، وقوة التيار ، ومتاكدا من وجود او عدم وجود عوائق في البقعة التي يرمي فيها شباكه .

وبنفس الطريقة التي يستطيع بهـا الصياد ان يتحكم بشبكته ، فعـلى القائد في حرب العصابات ان يبقى على اتصال دائم بالوحدات العاملة تحت امرته وان يتمتع بالقدرة على تحريكها حسب الخطة المرسومة .

حين تكون الظروف مناسبة ، على جنود العصابات ان يتحركوا كانسياب الماء وبسهولة هبوب الريح .

ان المقدرة على القتال دون توفـر مؤخرة صفة اساسية من صفات حرب العصابات .. ولكن هذا لا يعني ان حرب العصابات تستطيع ان توجـد وتعمل لفترة طويلة دون توفر مواعد انطلاق ورجوع ..

ان هذه القواعد يجب ان تصنف حسب مواقعها ، مثلا : هناك قواعد جبلية ، وسهلية ، وقواعد على الانهر او البحيرات . واهم قاعدة هي القاعدة الجبليـة .

حين نتغلب على العدو في منطقـة معينة ، يجب ان نستغل الوقت الذي نستعمله لاعادة تنظيم صفوفه لتفـوم بالاستيلاء على اكبر كمية من الذخيرة والمواد الغذائية والمعدات والعتاد والاسلحة (الاسلحة؟) والمعدات الطبية ، باملاء الفراغ والسعي ببعض الغنائم . يجب ان نحصر عملياتنا في مناطق محصورة ونسد العدو فيها . ونحـن نستطيع ان نعبىء السكان معدلنا ان توقع مراعين حدد دربهم ، مجهزهم ، ونطعمهم .. ان عملياتنـا يجب ان تشمل المدن وخطوط المواصلات التي لا تتوفر لها الحماية القوية .

يجب ايجاد مصانع اسلحـة في المناطق التي تعمل فيها العصـابات لصنع الاسلحة الخفيفة وتصليحها . ومع هذا فان العصابات يجب ان لا تعتمد كثيرا على نفسها ، ان مصـدر الاسلحة الرئيسي هو العدو .

في حالة عدم توفر الادوية الغربية ، يجب ان يعتاد الفدائيون على استعمال الدواء الشعبي (الوصفات الشعبية) .

كما يجب ان يجهـز جنود حـرب العصابات بالمنظار المكبر ، والبوصلة ، والخريطة الحربية .

(في العدد القادم : تجارب حرب العصـابات في الهنـد الصينيـة)

هكذا من الاصل

٩

الناصرة

الناصرة

الناصرة مدينة الناصري قبلة انظار العالم المسيحي .

تقع في المنطقة الشمالية من فلسطين ، قريبة من مدينة طبريـا وبحيرة الجليل وعكا وجبل الكرمل وجبل طابور ، عـدد سكانها حوالي ٢٠ الف نسمة . ويرجع نسب اهل الناصرة وقراها الى عشائر من اليمن ولخم والحيرة وقبائل الغسانيين .

يرجع تاريخ هذه المدينة القديمة الى الدور الكبير الذي لعبته في محاربة الغزوات الاجنبية التي اجتاحت مدن فلسطين منـذ القديم ووقعت في ظروف كثيرة امام السيطرة الخارجية التي جعلت اهلها يناهضون الحكم الاجنبي ويستعيدون حريتهم .

لقد حاولت الصهيونية منذ ان نزلت ارض فلسطين العمل على الاستيلاء على منطقة الناصرة وقراها والمساحات الشاسعة مـن الاراضي الخصبة التابعة لها ، وقد اعتمدت الصهيونية في تنفيـذ هذا المخطط البشع على الاستعمار البريطاني الذي لجا الـى قوة الحديد والنار لطرد العرب من قراهم واراضيهم وهـدم بيوتهم واتلف مزارعهم ثم سلم اراضيهم لليهود .

وللدلالة على مكان الحادث هذا نذكر كل من فولة ، العفولة ، طبعون ، والزبيدات والمنسي وغيرها من القرى العربية التي كانت مسرحا للحوادث المشار اليها اعلاه .

وقد اعتمدت ايضا على بعض الاقطاعيين من غير عرب فلسطين الذين امتلكوا تلك الاراضي في اواخر ايام العهد العثماني حيث تمكن اليهود انذاك من شراء الاراضي المسجلة باسماء فئة من الاقطاعيين

وقد صمدت الناصرة والقرى المحيطة بها في وجه الاستعمـار البريطاني البشع والمؤامرات الصهيونية ، وظلت تقاوم الهجمات اليهودية وكانت اخر تلك الهجمات الهجوم الرئيسي الذي تـلا سقوط الناصرة حيث زحفت القوات اليهودية على الناصرة مـن ثلاث جهات : من صفورية في شمالها الغربي ، ومن كفارها حوريش على طريق حيفا — الى الغرب من الناصرة — ومن مرج ابن عامر — الى جنوبها — . وواصل اليهود زحفهم الى ان احتلوا الهضبة المطلة على الناصرة من ناحيتها الشرقية على طريـق طبريا ثـم احتلوا من الجهة الثانية عمارة البوليس على طريق حيفا ثم احتلوا دار الحكومة الواقعة في وسط المدينة .

وقد حلقت ثلاث طائرات يهودية في سماء المعركة ، ثم طلبوا من اهل الناصرة التسليم ففعلوا بعد انسحاب جيش الانقاذ مـن المدينة والضواحي .

سقطت الناصرة في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم السادس عشر من تموز عام ١٩٤٨ . وما كادت الناصرة تسقط بيد اليهود حتى سقطت القرى القريبة منها سيما تلك التي تقع بينها وبين طبريا وبينها وبين حيفا .

وقد صمم اهلها العرب على البقاء في مدينتهم حيـث يعيشـون الان مع البقية الباقية من سكان عرب الجليل وعرب المثلث تحت القوانين القاسية وعمليات الاضطهاد والتمييز والارهاب .

تتمة المنشور على صفحة ٦ + ٧

اكثر ما يعرفونـه يحيطـه التشويـه والغرض وانـه لا بد من البـدء من المبسطات . كما ان الاقتصار على سوق الحجج القانونية وما فيها من املال قد يحدث اثرا عكسيا .

وليس معنى البساطة في التعبيـر الوضوح في الافكار . فمن الافكار التي لاقت قبولا وذيوعا فكرة الوطن القومي لليهود على ما فيها من غموض واختلاط في المعنى .

والواقع ان النغمة العاطفية للفـظ او العبارة ابعد اثرا — من وجهة نظر الدعاية — من دقة المعنى ووضـوح حدوده .

ح — ان الاستجابة العاطفية اشـد وقعا واثرا من الاقناع العقلي . وقد ثبـت هـذا في عديـد من التجـارب السيكلوجية . وعلى كل حال يجـب للدعايـة الناجحـة العنايـة بالعاطفة والعقل على السواء . اي السعـي لتقديم الحقائق مبطنة ببطانة عاطفية . او لباس العاطفة لباسا من الحجـج العقلية والمعلومات الدقيقة .

ط — هاجم دائما ولا تدافع — هذا شعار صالح للحرب والدعاية علـى السواء ولنفس الاسباب — ذلك ان المهاجـم يتخير هو مواقـع الهجـوم واسلحتـه وله كذلـك حظ السبـق والمبادأة . ويجب ان يقتصر الدفـاع على المواقف التي يستطيع فيها الداعية ان يستغل بعض الهجوم عليه لمصلحته وان يحول الموقف من دفاع عن نفسـه الى هجوم على خصمه .. اما في غيـر هذا من المواقف فالسكـوت افضـل واوقع .

ولعل بعض ما اخذ على الدعايـة العربية في اول امرها انها اشتبكت في معارك دفاعية ارغمتها عليها الدعايـة الصهيونية ، وبهذا ظلت دعاية سلبية في اكثرها عاجزة من استثارة التاييـد الحماسي من الجماهير .

ي — يجب عدم الاقتصار على وسائل الاتصال الجماهيرية بل العناية — كل العناية — بتدعيم الاتصالات الشخصية والمباشرة . ولعل هذه ايسر بالنسبـة للدعوة العربية . فيجب لذلك بذل كـل محاولة لاستغلالها على اوسع مـدى بتنظيـم حلقـات الدرس الصغيـرة والمحاضرات العامة والمناقشات واللجان مع العناية بتدريب من بين صفوف الطلبة العرب والجاليات العربية والاسلاميـة والناصرين للقضايا العربية عامة خلايا للدعوة وتزويدهـا بالمادة الاعلاميـة اللازمة ودفعها لانشاء العلاقـات من طريق الاتصال الشخصي او من طريق الكتابة او الزيارة في شكل وفود وغير هذا .

وعلينا ان نذكر دائما عبارة غوبلز : « لا جدوى في ان نلقي خطبا كثيرة بل علينا ان نقنع الناس بافعالنا » .

تتمـات - مقال ص ٣

١٩٥٠ والقائم على التمسك بقـرار تقسيم فلسطين لعام ١٩٤٧ ، وبجميع القرارات الفرعية للامم المتحدة التي تؤكد حقوق اللاجئين بالعودة واسترجاع املاكهم . ولم يزل هذا الموقف هو الموقف الجماعي للدول العربية ، باعتبار انه لـم يصـدر عنهـا ، حتى الان مـا يناقضه .

ثالثا — تصـور شعب فلسطـين العربي الذي لم يتزحزح شعوره شعرة واحدة عن الرفض التام المطلق لوعد بلفور ، ولكـل الاوضـاع الناشئـة اللامشروعة التي تفرعت عنه .

ان التصورات الانفرادية للحكومات العربية لحل قضية فلسطين تبرز كلما احتاجت قضية فلسطين عملا جماعيا عربيا . ولقد كان تباين هذه التصورات عاملا حاسما في هزيمة عام ١٩٤٨ . ومن هنا نشا اعتقاد راسخ عند عرب فلسطين ان قيام دولة عربية واحدة شرط مسبق لامكان وضع خطة عربية موحدة تجاه فلسطين . الا ان مؤتمري القمة العربيين يمثلا محاولة استكشافية للاتفاق على بعض فروع القضية نظريا وتطبيقيا ، وما زالت المحاولة في مهدها بحيث يصعب التكهن بنتائجها العملية .

ثمة سؤال يدور في المجال العربي منذ ان اخذت الدول العربية تهيج في المحافل الدولية ، وبخاصة في الامـم المتحدة ، سياسة المطالبة بتنفيذ قرارات الامم المتحدة بشان قضية فلسطين ؟ . هذا السؤال هو التالي : هل هـذا موقفه صحيح ؟ لو فرضنا جدلا انـه قبل ، فهو يتضمن مثلا انشاء دولتين : يهودية وعربية ، وربطهما باتحـاد اقتصادي على الاقل . فاين تـذهب المقاطعة العربية لاسرائيل ؟

وسنورد الان الحجج المتقابلة التي تعارض هذا الموقف او ترفضه .

فاما معارضة الموقف فهي قائمة على اعتبارات ثلاثة اولهـا ان التقسيـم يتضمن تنازلا ضخما عن حقوق عربية اكيدة ، اي تنازلا عن الشرعية القائمة على رفض وعد بلفور وكل ما تفـرع عنه ، واضفاء صفة شرعية عـلى الغزو الصهيوني لفلسطين . الثانية : انه يتضمن قبولا بوجود دولة يهودية ذات سيادة في ارض عربية ، بكل ما يتفرع عن ذلك من اخطار دائمة محيقة بالوطن العربي كله ، اشرنا اليهـا فيما تقدم . الثالثة : ان حدود هذه الدولة بالذات وضعت لتخدم الاغراض الصهيونية ، وفي مقدمتها انها تؤمـن الفصل الجغرافي بين اجزاء الوطـن العربي .

واما القائلون بهذا الموقف فيدعمونه بالحجج التالية : اولا ما دام القبول بتنفيذ قرارات الامم المتحدة مستبعـدا جدا نظرا لان هذه القرارات تنتزع من الصهيونيين ارضا وتفرض عليهم اعادة العرب الى ديارهم بحيث يحصل تغير كبير في تركيب السـكان في فلسطـين المحتلة ، فان المطالبة بقرارات الامم المتحدة تفيد في احراج الصهيونيين ، بان تظهرهم في موقف المعارض لقرارات دولية اتفقت عليها الكثرة الكبرى من دول العالم .

ثانيا — ما دام المستند القـانوني لقيام اسرائيل هو قرار تقسيم عـام ١٩٤٧ ، فان التشبث به يؤكد لا قانونية وضع اسرائيل الحالي . ولذلك فان لهذا الموقف قيمة اسلوبية واضحة ، ورغم ما فيه من ثغرات جدلية . ولو فرضنا جدلا — وهذا مستبعد جدا — بل مستحيل في ظرف سلمي ، ان تنفيذ مقررات الامم المتحدة اصبح ممكنـا عمليا ، فلكل حادث حديث .

وبعبارة اخرى فان هذا اجراء يدخل في باب المناورات السياسية ، ما دامت المناورة السياسية هي كل ما تملكه دول العرب من امكان للعمل الفلسطيني .

ان من المهم ان نؤكد هنا ان جميع قرارات الدول العربية لا تستطيع ان تؤثر في موقف عرب فلسطين او تمس شرعيته . ان مفتاح الشرعية في قضية فلسطين هو بيد عرب فلسطين وحدهم ، وما زال هذا المفتاح في موضعه .

ان عرب فلسطين قالوا بانهـم يرفضون وعد بلفور . لم يقولوا ذلـك بالكلام ، بل بالدماء في ثورات مـريرة وقتال دام امتد بين اعـوام ١٩٢٠ و ١٩٤٨ . ان عرب فلسطين ، قالوا عام ١٩٢٧ ، انهم لن يقبلوا بقيـام دولة يهودية ، وكرسوا قولهم هـذا بالدماء نزفت غزيرة بين ١٩٣٧ و١٩٣٩ . لقد كان مقررا ان ينفذ قرار التقسيم عام ١٩٣٨ ، فاطره عرب فلسطـين وحدهم ، بقتالهم المستميت في ظروف يائسة ، عشر سنوات كاملة . في عام ١٩٣٩ تراجعت بريطانيا امام الثورة العربية عن قرار التقسيم الذي اتخذته عام ١٩٣٧ . وعندما لاح شبح التقسيم مجددا عام ١٩٤٧ عاد عرب فلسطين الى القتـال ، واضطروا اميركا في نيسان من عام ١٩٤٨ ان تهرع الـى الامم المتحدة متراجعة عن التقسيـم ومطالبة بوصاية دولية على فلسطين . غير انهم — اي عرب فلسطين — هزموا في القتال اللامتكافىء بينهم — متفردين — وبين الصهيونية العالمية مدعومة بقوى اميركا وبريطانيا .

فوعد بلفور ، مرفوض بالدمـاء ، والتقسيم — اي قيام اسرائيـل — مرفوض بالدماء ايضا . ذلك موقـف عرب فلسطين ولا يمكن ان يكون لهم موقف غيره . ان دماء خمسين الف شهيد — من شعب مكون من مليون شخص — قد احكمت رباط هـذا الموقف ، ولم يبق من حق للجيـل الحالي بان يبحث الموضوع من جديد .

من هنا ، من هذا الادراك الصوفي لحقيقة الوضع وكامل ابعاده ، جـاء تصحيح عبد الناصر في خطابه امـام الامم المتحدة عام ١٩٦٠ حين اوضح ان حل قضية فلسطـين لا يكون الا بالرجوع الى النقطة التي ابتدا منها الخطا . هنا ، ودائما ، عبر عبد الناصر بصدق ، عن ضمير الامة العربية .

غير ان المهم بالنسبة للحلول ، ليس مجرد تحديد اهدافها ، بـل تحديـد اساليب التوصل اليها ، او ميكانيكية تحقيقها ، وذلك ما سنبحثه في المقالة التـالية .

ايها الشهيد ،

منطق الرصاصات العشر او العشرين او المئة التي اطلقتها لتسقط كطليعة لهذا الشعب الصامد ، كانت اقوى من كل منطق استعملناه خلال سنين عارنا ، ولغة الدم والحديد كانت اشرف من كل لغة ، باستشهادك كم اظهرت تفاهتنا وصغارنـا نحن الذين نتفلسف ، بقدر ما كنت كبيرا ورائعا وبطلا وانت تفتح صدرك ليمزقه رصاص اليهود ، كنا نحن عاجزين وصغارا ، فيوم سقطت ليسقط اسمك معك مجهولا انطفات كل الاضواء من حول الاسماء الكبيرة انتفاخا واصطناعا .

ستظل رمزا واستاذا لاجيالنـا في التضحيـة ، ويوم نحقق الانتصار الكبير سنذكر انك كنت الرائد ويومها سنعرفك وسنقيم لك تمثالا يمجد البطولة والتضحية فيك ، يا من اثبت بالدم ان شعبا انت من ابنائه سوف يعود .

سليم ابو سالم

الظل الكبير

قصة بقلم سليم ابو سالم

عند المنعطف ، وعند حدود دائرة الضوء الباهت الذي يرسله مصباح الشارع ، وتحت الظل ، كان يقف واضعا يديه في جيبي بنطلونه وبين شفتيه سيجارة قد احترق معظمها وما يزال الجزء المحترق عالقا كانه مشدود الى البقية الباقية من السيجارة او انه تكاسل عن ان ينفض السيجارة ليسقط الجزء المحترق ودخان السيجارة يتصاعد بكثرة فيحرك وجهه محاولا ان يقي عينيه من طبقة الدخان ..

وصل رفيقه دون ما كلمة ، وبصمت سار الاثنان بعد ان القى بعقب السيجارة الذي تدحرج على الشارع مدفوعا بنسمات تشرين الباردة .. الشارع خـال من المارة ، يخيل اليه ان في الجو شيئا غريبا جعل الناس يقبعون في بيوتهم مبكرين وعلى غير عادتهم ، نوافذ البيوت مقفلة ، لا شيء يتحرك في الشارع الا بعض الكلاب الجائعة التي تتراكض وتتراكض معها ظلالها كلما اقتربت او ابتعدت عن مصباح من المصابيح المصفوفة على طول الطريق الخالي تفتش عن شيء تاكله في قمامات المنازل ، وحبات الرمل تنسحق تحت خطواتهما محدثة صريرا مسموعـا كانه الحشرجة .

خطواتهما رتيبة وثقيلة وحبات الرمل تنسحق ، وقع خطواتهما ترتفع وترتفع حتى ليكاد يملأ الشارع ، ويلتفت اليه رفيقه ليقول وكانه قد فكر طويـــلا قبل ان يجيب على سؤال لم يوجه اليه :

— مات .. آسف ، لقد استشهد .

ويلتفت وكانه يعرف ما قاله الرفيق منذ مدة طويلة ، ودون ان يســال او يوحي بسؤال اكمل رفيقه يقول :

— « لكنه لم يمت رخيصا على كل حال ، هم انفسهم يعترفون بذلك » .

ويصر وكأن احدا لا يصدقه :

— « هكذا تقول اذاعتهم » .

ويرد على نفسه وكان نظرة رفيقـه اليه التي لا توحي باي معنى ، تكذبه ، « انا متاكد انه لم يمت رخيصا ، ولو لم يذيعوا هم ذلك ، لولا ان خسارتهم كبيرة لما اعترفوا باي شيء » .

ثم صمت رفيقه ، بدا يضايقه ، هو لا يعرف هل يسكت ، لكنه يريد ان يقول شيئا ، شيئا ما يحسه في نفسه ، شيء يتحرك ، منذ سمع الخبر عندمــا توقف ليشتري شيئا ياكله ، لقد كان جائعا ، منذ الصباح لم ياكل ، والساعة الان تقارب الخامسة مساء ، لم يعــد جائعا الان ، لعل كلمة العم ابي اسعد هي التي افقدته الشعور بالجـــوع ، بل الشعور بكل شيء ، لقد كان الراديو يذيع الخبر عندما طلب منه ان يبيعــه اي شيء يؤكل ، فقال له ابو اسعد : « الناس تموت ، وانت لا تفكر الا في الاكل » لم يدر ما يقول ساعتها ، المهم انه مشى ليلحق برفيقه الذي وقـف ينتظره عند المنعطف تحت الظل وكلمات ابي اسعد تلاحقه : « الناس تموت وانتم لا تفكرون الا بالاكل » ..

ثم يجيب نفسه على سؤال حسب ان رفيقه ساله اياه ، لكن من هــو ؟ صحيح ..

لا ادري .. لم يذكروا اســمه ، ولم يتعرف عليه احد ، اذن من هـو ؟ من هــو ؟ اما من احد يعرفه ؟ .. غير معقول ، لا شك ان هناك مـن يعرفه ، غير معقول ان يسدل الستار على بطل هكذا ، بخبر بارد ، ان يموت الانسان شيء طبيعي لكن الا يعرفــه احد هذا ما لا استطيع ان اصدقــه ، غير معقول .. غير معقول » .

وتكاد الكلمات تتحول الى صرخات ، راسه يزخر باطنان من الكلمـات ، الارض تدور به ما هذا ؟ ما هذا ؟؟.

ويتطلع الى رفيقه ...

— هل سمعت عنه شيئا ؟

ويلتفت اليه رفيقه الذي لم ينزع يديه من جيبي بنطلونه الا ليخرج سيجارة لم يعيد وضعهما ويترك السيجـارة تتدلى بين شفتيه ، سيجارته ليست من الصنف الذي يدخنه عادة ، انهــا من الصنف الرخيص ، فماذا حدث لــه حتى يدخن من هذا الصنف لا جدال في انه يملك ثمن علبة سجائر من الصنف الجيـد .

وسرعان ما يشعر انه كان يثرثر .ى به ان يصمت في مثل هــذه الحالة ، اذاعة العدو تكرر الاذاعــة الخبر ، « مقاتل عربي مجهول الهويــة اشتبك مع دورية انجدتها دوريـــات غيرها كبدها جميعا خسائر لكنه لـم يستطع ان يكسر الطوق المحكم حوله ، (المكان قرب معسكر للعدو) ، لقــد طلبوا منه ان يستسلم » .

— « اذن كانوا يتمنون ان يقبضوا عليه حيا ، لعله يعترف بشيء ، هــذا طبيعي ...

— « ولكنه رفض الاستسلام فقتل ».

— قتل ا.. نهاية طبيعية ، لاشتباك اطرافه غير متكافئة .

ثم يضع هو ايضا يديه في جيبي بنطلونه بعد ان اخذ سيجارة مـن رفيقه الذي ناوله اياها وناوله علبة الكبريت ليشعلها دون ان يلتفت اليه او يفوه بكلمة ، ويسيران ، كل ما في الكون ساكن لا يتحرك ، سكون بارد ، ونسمات تشرين تلفح وجهيهما ولا شيء غير اصوات بعض الكلاب المتراكضـة مع ظلالها تحت ضوء المصابيح واصوات حبات الرمل تنسحق تحت اقدامهما .

الظل امامهما يكبر ، يطول ، فاخر مصباح مضيء صار وراءهما ، الظـل يمشي ويمتد امامهما بسرعة ليغرق في عتمة ليل تشرين .

منذ ستة عشر عاما لم اسمع بخبر كهذا هزني ، انني ارتجف ، تشرين هذه السنة بارد جدا ، الناس كلهم يقبعون خلف ابوابهم المغلقة ، تراهم بمـاذا يفكرون ؟ هل ينصتون الى المذياع ، ليسمعوا الخبر ؟ لعله قريب احدهم ، لعل احدهم يعرفه ، انا متاكد انه يوجد من يعرفه ، انني اريد ايضا ان اعرفه ، لماذا تواجد في تلك الساعة هناك ، ماذا كان يفعل ؟ اتراه كان في مهمة ؟ لعل ...

الم اكن انا افكــر ايضا ؟ الم ما زلت افكر ، انا ايضا اريد ان اذهب الى هناك لو كل واحد منا ولو ساعة واحدة ذهب سيجدهم ، حتما سيجد مجموعة يمكنه ان يصيد منهم ثلاثة على الاقل ، وبعدها لا يهم ، يموت ، يستشهد انا متاكد ان اي واحد حتى ولو كان لا يجيد اطلاق النار ، يمكنه ان يقتل ثلاثة ، انهم لا يخرجون الا مجموعات ، لقد قال لي يوما احدهم ، ثم يتوقف ليتذكر من قال له ، حـامد ، نعم حامد قال ، انهم جبناء ، انهم يستعملون كثرة النيران تغطية لذعرهم وخوفهم حتى يوهموا رجالنا ان كثرة النيران تعني تصميمهم على انهاء الاشتباك لصالحهم ، لكن الحقيقة غير ذلك ، انهم يتمنون لو ان الاشتباك لم يقع او ينتهي بسلامتهم .

لو كل واحد ذهب ، كم من الخسائر سيتكبدها العدو ؟ .. وبعدها لا فرق ، لكن هذا التفكير غير معقول ، لا يمكن ان نذهب كلنا ، هكذا ، ولكن ما المانع ان اذهب انا اليوم ويذهب اخر غدا والبقية تتبعنا ؟ ..

انا لا اريد ان اموت كما قال لي ، والا فهناك وسائل للموت كثيرة ، كما قال ، لكني اريد ان يكون لحياتي معنى اي معنى ، او ان اموت ويكون لموتي سببا شريفا ، اليس الموت من اجل القضية شيء له معنى ؟!.. لكني اريد ان اموت ، لقد قلت لها انني اريد ان اعيش ، ان نحقق احلامنا ، صحيح لقد قلت لها هذا وقلت لهـا ايضا اننا لا نستطيع ان نفكر في الحياة او الموت وان نرسم لمستقبلنا ونحن نعيش ظروف حرب ، ان لم تقع اليوم فلا بد ان تقع غدا .. مهما يكن فالحياة بهذا الشكل لا تروق لي ...

ويسال رفيقه :

— بماذا تفكر ؟ هل تعتقد انه مـن عرب الارض المحتلة ؟ ام انه من هنا من النازحين ؟!..

ويعود الى صمته من جديد عندمـا لم يجبه رفيقه الا بنظرة ليس فيهمـا اي معنى ، ويفكر في داخله :

« ليس مستبعدا ان يكون من عرب الارض المحتلة وكيلا ينكل العدو باهله واصحابه ، انكره الجميع ، لكن غير معقول ان ينكره اهله ، على اي حال فان الامر سينكشف اذا كان كذلك ».

ايديهما في جيوبهما ما تزال ..

هل تراه احدهم ، لا شك انهم اليوم اكثر ، الكل يتجمع ، منذ ثلاث سنوات كان لديهم مثل هذا التصميم ، كـان هدفهم ان يبنوا جسرا يصلهم بنا في الخارج ، لقد قال لي حامد (وتقفـز صورة حامد واسمه من جديد) يرمها ، اتراه يكون حامدا ، لا ، ليس هـو ، ولكن لم لا يكون هو ، حامد » ؟ ..

انه احد الشباب القلائل الـذين يعتمدون عليهم في الداخل في نقل مـا يريدون الينا ، انه اكثرهم خبرة في الطريق ، يعرف كيف يتسلق الجبـال في الليل وان يكمـن في النهار ، انني ما زلت اذكر انــه قـال لي ، كان باستطاعته ان يصطاد ما نريد منهم ، وكثيرا ما كان يثور وهو يشاهدهـم يقومون بالدوريات ، واكثر من مـرة كان يوشـك ان يضغـط على زنـاد رشاشه الذي اعطيناه اياه ، كـان يمنى لو يستعمله ، لكن تعليمـات الرفاق هناك كانت تقضي ان لا يشتبك معهم مهما كانت الاحوال حتى لا يلفت انتباههم ولضمـان سلامـة وصولـه بالمعلومات التي يريدون ان يبعثوها لنا.

نعم ، حامد ، ما زلت اذكره تماما ، في مثل هذه الايام جاء ، ويتطلع الى السماء وكانه يحاول ان يقنع نفســه انها ستمطر بعد لحظات كما كانت تمطر عندما جاء حامد اول مرة وكانت ثيابه مبللة والتراب الاحمر يغطي حذاءه .

من يدري ، لعلهم قرروا شيئا ، ان يقيموا جسرا ثابتا بيننا وبينهم ، لعل خطتهم قد اكتملت ، منذ اخر مرة جاء فيها رفيق من طرفهم ابلغنــا ان الخطة توشك على الانتهاء ، وكــل شيء اصبح معدا وجاهزا ، وسنشعرنا فاذا لم يكن لدينا مانع او تعديل للخطة فانهم يطلبون ترك تحديد وقت التنفيذ لهم حسب ظروفهم — هكذا قــال الرفاق يومها — .

يجب ان نتاكد من ذلك حتى نقوم بدورنا المرسوم في الخطه .

ودون ان يلتفت الى رفيقه ، يلكـزه بكتفه دون ان يخرج يديه من جيبي بنطلونه ليقول له : « الم تتعب ؟.. لقد مشينا كثيرا ، نحن وحدنا في هـذا الشارع ، كل الناس يقبعون في بيوتهم .

ضوء المصابيح لا تصل هذا الشارع، فالظل يخيم على طول الشارع ، ثـم ينعطفان الى شارع اخر مظلم ، ولا شيء يسمع غير حبات الرمل تنسحق تحت اقدامهما والسيجـارة لعلهــا السابعة تحترق بسرعــة بين شفتي رفيقه ودفعة كثيفة من دخانها تغطي وجهه ، ليدخلا اخيرا بيتا قديما ، ثم يخرج يديه من جيبي بنطلونه ليضيء المصباح الكهربائي داخل الغرفــه وليمسك بعقب السيجارة ليمعســـه في قعر منفضة السجاير المعدنيــة ثم يجلس على حافة السرير قرب طاوله عليها بعض كتب الدراسة وفنجان قهوة فيه بعض اعقاب السجاير المطفـــاة ببقايا البن ثم بعض الصحف على ارض الغرفة وراديو ترانزستور صغير وكتاب على السرير ، فوق المخدة قراه ليـلة امس عن الثورة الجزائرية ، يلتقطــه ليضمه على الطاولة ثم يمسك بمجموعة كتب الدراسة الضخمة التي اشتراها منذ شهر عندما قدم ليلتحق بالجامعة وناولها الى رفيقه :

— تناول هذه الكتب ، خذ منهـا ما قد تحتاجه في الدراسة وبع الباقي واحضر لي ثمنها غدا .

وتعتري الدهشة رفيقه ..

— ماذا تقول ؟ هل انت ...

فيقاطعه :

— انا في كامل وعيي ، قلت لك خذ من هذه الكتب ما قد تحتاجه ، وبع الباقي ثم احضر لي ثمن ما ستبيعــه غدا ، فانا بحاجة الى ثمنها .

ويصر على اسنانه محاولا اخفاء اضطرابه ، هل تريد ان تعرف لماذا ؟

وقبل ان يسمع جوابا او اي تعليق يتـابع :

— انني ساسافر غدا بعد الظهر ، ساسافر هل تسمع ، لا شك ستعرف الى اين ساسافر .





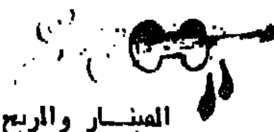
قصائد من المنفى

محمد صالح يونس



الصمت والمنفى

اهكذا نصبح
مواسم الفناء
في وحشة الصحراء ؟
سماك في القبور
يا غريب الدار
تذبل في اعمامها
جيل من الاعمار
ماذا في المنفى
غير عويل الروح
تهب في القبور
مجوله تثور
جنازة الموتى
جنازة الموتى
هبي من الاكفان !..
هبي من الاكفان !..
فارتجت الصحراء
وثارت الرياح



المنبار والريح

منارنا الجريح
في رقدة الالام
يعلو للريح
والخوف والسام
يوقظه ليلى
عواصف الهجير
ورعشة الغم
وصمت الاهات
من ليلنا الطويل
من جرحنا الظليل
فمنارنا الجريح



الى صديقتي

لا تسأليني من انا
انا هنا غريب
اغنيتي حزينه
صداحها يدبب
تغبق بي الصحراء
يلفحني الهجير
يقلقني بنار
اصرخ يا صديقتي
وليس من يجيب
الشمس في الصحراء
من يحمي الغريب
الشمس في الصحراء
من ينجح الغريب
فيبعه الامان
ورعشة الحنان
... واذ اذكر اللقاء
ستقظ الاشواق
ماطعم اللهب
ماني الذي في جرحه
اوشني يذنب
دباي او تنهشني
معهم ما اريد
اواه هل تركتني
وحدي على الصليب ؟

ترنيمة المنفى

انا ما زلت هنا وحدي الحزين
معلى عود السمن
صبروا روحي على عود السمن
ولقد صرت حكايا المسالكين
ولقد صرت طعاما للرياح
في كهوف يسرح الليل بها
فاستحالت كفنا للميتين
واستحال النوم في الاكواخ
شهدا للذين
مات في اعماقهم طهر اليقين
لم يكن غيري هنا
يرنو الى الحشد الحزين
غير اطياف وعود
في كهوف اللاجئين
واستغاثات تعالت
من جراح الثائرين
همسة في هداة الليل
تهز النائمين
كيف ترضى عفن التاريخ
والعار المهين
والخيـانات
واقوال الوشاة المرجفين
كيف يبقى بيننا
من باعنا للسالبين ؟
ايها الليل لقد طلت
وطالت غربتي
انما من نكبتي
في اقاصي وحشـتي
يولد الحان التحدي
ويغذي عطش النار بصبح
الشباب سوف ابقيها معي
لن اغنيها لعشق المتعبين
فاذا انشقت على الفجر الجنون
واذا ثارت بلادي في وجوه الغاصبين
فالاماني الشائقة
والاغاني الجامحة
لن تموت
هي في كل الزوايا والبيوت
ساغنيها لجيش العائدين .

مخاض الصمت

كف احنا كف مخمول الورد
سانهز النار من تحت الرماد
وسامضي دون زاد
حلمي الصوت الجديد
الملم الامواج اجدو اوساني
جسدي ملاك باسرار الحياة
راسي ارفعها في الليل نجمه
اه ، لن ابكي ، على تحطم الضياع !
ساغني في مراس الفناء
واصب الروح فيها من جديد
وسامضي المدى المجهول
في النمط البعيد
لاغني الصبح واللحن الضائع !
هكذا شمنا مع الصمت وعدنا
يستغني الناي بالاحلام منا
في الليالي السود والاجراس
اجراس الصراع
تدر الموتى ميلاد الحياة



نشيد الثورة

انا من منفاي للثوره انشدو
واغاني
واغني للاماني
لرياح الموت في الصحراء انشدو
لست مني ايها اللحن الكئيب
فانا اعطيت للنار غنائي
وبكائي المر ، ما جدوى بكائي
هو زاد الموت للموتى هدية
لم يعد يخدعني اللحن الشجي
بعد ان حطمت اوتار الفجيعة
بعد ان اعطيت للنار غنائي



الثورة في المنفى

نحن ما متنا ولو ناحت مزامير العبيد
فلنا بعث جديد
ومع الصبح لنا وعد ورعد
وهج الصبح طموح الثائرين
سفنى الياس فيه من سنين
لانتعاش الروح في الموتى
لميلاد الحياة
لانبلاج النور من اعماق شعب
ضاع في المنفى
وعـاد
جائعا للنار
من نسل طويل

محمد صالح يونس